الفصل الثاني

الحوار في التاريخ الإنساني

obeikandl.com

الفصل الثاني

الحوار في التاريخ الإنساني

الحوار والإنسان صنوان لا يفترقان، بل وجد الحوار قبل أن يخلق الله الإنسان. ألا ترى حوار الرحمن مع الملائكة بشأن الإنسان. والحوار مادة غناء فكري، لمن أراد الغناء والشفاء، ولا تجد ذلك إلا في الحوارات التي ذكرها الله تعالى في وحيه. فمن تلك الحوارات، تتعلم الدين، تتعلم السنن الإلهية، تتعلم الدعوة، تتعلم التربية، تتعلم كيفية الحوار، تتعلم كيفية مجادلة أهل الباطل. بها تستبين سبيل المجرمين، وتبسط أفكار الضالين، بل بها تتعلم الحياة بأكملها في شتى جنباتها، ولذا لن تجد غيرها قط في هذا السبق.

ولهذا، سنعيش خلال الوريقات القادمة عبر حوارات في التاريخ الإنساني، هي أخصب وأوقع حوارات، أقدمها كيما تستفيد الأمة من هذه النماذج الواقعية العملية، التي لا يختلف الواقع المعاصر عنها إلا في الأشخاص والزمان والمكان. وحاجة الأمم إليها آكد وأشد من البيان النظري، فتعالوا لنتعلم منها كيف يكون الحوار وما يتصل به؟!! ناهيك عن كثير من الأمور الأخرى التي نحن في أمسّ الحاجة إليها، والتي سنذكر أهمها دون إحصائها؛ وذلك لضيق المقام، ولطبيعة موضوع البحث.

1- حوار الله عز وجل مع الملائكة:

فهذا حوار الله عز وجل مع ملائكته بشأن الإنسان، وقبل أن يخلق، يتبعه حوار الله عز وجل مع سيدنا آدم عليه السلام، تعالوا لنستمع إلى هذا الحوار.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ

أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ (البقرة: الآيات 30ـ 33).

المستفاد من الحوار

1ـ نشأة الحوار قبل الإنسان. فإذا كان الحوار لصيقًا بالإنسان، فهو قد نشأ قبله، وذلك ليدلنا على أهمية الحوار في الدين والدنيا.

2ـ أهمية الحوار في توضيح الغامض وتعليم المتعلم، وفي هذا ما يدعونا إلى التمسك به، سواءً من العالم؛ إذ لا ينقص من علمه شيء أن يحاور المتعلم. وقد ضرب سبحانه وتعالى المثل جليًّا بحواره مع الملائكة. وكذلك من المتعلم، إذ عليه أن يسأل، وعبر دائرة الحوار، كيما يتعلم، وهو فعل الملائكة.

3ـ أهمية حسن الخلق في الحوار، إذ قد يتصور المتعلم الأمور على غير حقيقتها، كما تصورت الملائكة أن الإنسان سيفعل فعل الجن من الفساد وسفك الدماء، فتكون الإجابة بحلم دون جفاء ولا فظاظة.

4ـ بيان نشأة الإنسان والملابسات التي دارت حول ذلك، ودور الإنسان في الأرض من القيام بأحكام ومتطلبات الخلافة في الدنيا.

5ـ شرف العلم، وشرف سيدنا آدم وما كان له من الفضل من تعليم الملائكة – بإذن الله تعالى – ما لا يعلمون.

6ـ قدرة الله عز وجل، إذ علم سيدنا آدم، عليه السلام، أسماء المخلوقات قاطبة كلها، فعلمها للملائكة، وفيه بيان أهمية نقل العلم حتى لا يعم الجهل.

7ـ لا عيب البتة فيمن لا يعلم، أن يقول "لا أعلم"، كما قالت الملائكة. فذلك أوقر، إذ إن التعالم فيه مزيد خطورة على الأمة بأسرها، لاسيما إن

كان في وحي الله عز وجل. ولهذا، كان التشديد والنكير على من افترى على الله الكذب، وتقوّل على الله بغير علم، مما قد ينتج عنه تحليل الحرام وتحريم الحلال.

2- حوار الله ﷻ مع أدم عليه السلام:

واستكمالاً للحوار السابق، كان أمر الله ﷻ للملائكة بالسجود لآدم، فأبى إبليس، ومن ثم كان حوار الله ﷻ مع سيدنا آدم، فكيف كان؟!!

قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: 3ـ39).

المستفاد من الحوار[1]:

1ـ إن الإسلام أساسه طاعة الله عز وجل فيما أمر به، بلا روية ولا تفكير، فمادام الأمر من الله عز وجل، فما على العبد إلا التنفيذ. وانظر سجود الملائكة لسيدنا آدم عليه السلام، وهو سجود تحية وتكريم وتعظيم واعتراف بفضله، وطاعة لله رب العالمين، ويتضح هذا جليًّا. وفي هذا درس، أيما درس، لأولئك المتخاذلين عن طاعة ربهم، وأولئك الذين اختطّوا سبلاً غير

(1) راجع المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د/ عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م، الجزء الأول، ص 20 وما بعدها.

سبل ربهم زعمًا أنها تكون سبل إصلاح. وكذلك للطائفة التي ترد سنة رسول الله ﷺ، بزعم أنها لا توافق العقل. سبحان الله ! هل يقرر المخلوق إن كان أمر الخالق يصلح أم لا يصلح!! إن أعقل العقل أن تسلم العقل لمن خلق العقل، وإلا فلا عقل.

2ـ كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون. فليس من البصيرة أن يتخذ المحاور خطأ غيره ويسلطه عليه، ويكون وسيلة للتشهير به، فهذا ليس من أدب الحوار. بل لا بد من أن يكون الحوار مادة إصلاح لا طريق طعن وإفساد. بل، إن هذا الخطأ، ليجعل الناس تتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته. فهي الملاذ من النفس والشيطان والدنيا والهوى وغيرها، هذا بالإضافة إلى التوبة قبل فوات وقتها، فتكون الحسرة والندامة، والتي لا تنفع يوم يكون التعامل فيها بالحسنات والسيئات.

3ـ أهمية الإخلاص والتجرد في الحوار وحسن الخلق والعلم بمقصد الحوار، إذ ما كان هدف إبليس لعنه الله إلا التغرير والخداع، انطلاقًا من الحسد والكبر. وها نحن نرى حوارات عدة ليس هدفها الوصول للحق، وإنما غمط الحق وأهله، وهؤلاء لا تخلو عدتهم من كبر وحسد على من يتكلم بلسان الحق في الحوار، فحذار حذار من هؤلاء.

4ـ إن من الخطورة بمكان، ولطالما المرء يكررها، إذ استفحلت حتى في عوام الأمة، أن يزج المرء بأنفه مع النص، فلا يطبقه. وأنى لك أيها المسكين أن تصل للحق، فها هو إبليس اللعين رفض أمر الله الصريح بحجج متهاوية، كفى أنها أخرجته من الجنة إلى النار أبدًا. ألا فليتعلم أولئك الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا هدى ولا كتاب منير.

5ـ لا بد من معرفة آفات النفس البشرية، إذ تلجأ النفس دائمًا إلى العجب والغرور والمدح والتزكية، وفي هذا هلاكها. وتجد هذا في عديد من

الحوارات، فقد يظن الشخص أنه مادام اشتهر أو كذا، فقد حاز السبق، ثم يخطئ في حواره، ويبين ذلك من هو أقل منه. وهنا تتدخل آفات النفس البشرية وحظوظها الفانية، والتي قد تؤدي بها إلى ترك الحق.

6ـ عداوة إبليس للإنسان القائمة إلى قيام الساعة، والتي لا يتصور معها نصح ولا إرشاد. ولذا، تجد التغرير والخداع من وسائله. وفي هذا، حدّث، ولا حرج فلقد أخبرنا الله بأعدائنا من شياطين الجن والإنس، وأبان سبيل المجرمين، وبين أنهم يسترون بستر التزيين والتغرير، بل والتخويف، يخوفونهم من كل شيء، من أولياء الشيطان وقوة السلطان والفقر وغير ذلك، مع أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وأن المال مال الله، وأن الدنيا كلها زائلة عن العبد، وإما أن يفارقها أو تفارقه، وأن البلاء إما رفع للدرجات أو تكفير للسيئات.

3- حوار قابيل وهابيل:

ما سببه؟! وكيف كان؟ وما هو المستفاد منه؟!!

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ (المائدة: 27ـ31).

المستفاد من الحوار([1]):

1ـ الحسد شر مستطير، وداء خطير بالفرد والمجتمع، فقد يؤدي إلى قتل الأخ. وإذا كان هذا على مستوى عوام الناس، فكيف بدعاتهم وعلمائهم؟! بل، ماذا تنتظر من أهل الباطل تجاه أهل الحق، وذاك واضح من حوارات الدعوة وحوارات أهل الحق بالباطل. وأتعجب كيف يكون الحسد ويجتمع مع الإيمان بالله عز وجل، وقضائه وقدره. وكل النعم من الله عز وجل للابتلاء والاختبار، فعلام الحسد؟!! ثم أين الخلاص والتجرد وحب ظهور الحق ولو على لسان الغير المتحاور؟!!

2ـ الداعية داعية ولو في أعصب أوقات الفتن، فلا يخرج عن سمت الدعوة ولا يسكت عنها، ولو توعد المتحاور الآخر بقتله. وانظر إلى آليات الحوار: محاولة ترقق وتلطيف من هابيل، إذ لم يصدر منه ما يوجب الإساءة، وبيان السنن الكونية، إن الله إنما يتقبل من المتقين، ثم إنه لا يبادر الإساءة بالإساءة، بل الإحسان، لا خوفًا من المتحاور، بل خوفًا من الله عز وجل، مع بيان عقوبة الله عز وجل لكل معتد حتى يثوب إلى رشده. انظر إلى التعامل مع نفسية المتحاور والأخذ بيده والتدرج معه.

3ـ إن هناك من النفوس ما لو قدمت لها النصيحة على طبق من الذهب لا يزيدها ذلك إلا ابتعادًا عن الحق واستمراراً في الباطل. ولا يعني ذلك من المتحاور أن يخرج عن أدب الحوار ولا آلياته، ثم إن ما قُدِّر كان، ولو كان هناك أذى فهو في سبيل الله تعالى. وكم هو عظيم أن تهب نفسك لله، وتحتسب وتصبر لله ﷻ، ففي ذلك نعم الأجر، وعظم الثواب، وحسن المآل.

([1]) المرجع السابق، ص107 وما بعدها.

4- حوار سيدنا نوح عليه السلام مع قومه :

ومن هنا، نرى الحرب بين أهل الباطل وأهل الحق وجدال أهل الباطل، وقطع دابرهم من قبل أهل الحق، وبالحق، كيف ذلك؟!!

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۞ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۞ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا

وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۞ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ (هود: 25ـ49).

المستفاد من الحوار([1]):

1ـ لا بد من مقومات أساسية للحوار، وهي الخاصة بثوابت وأصول الدين. ويأتي على قائمتها توحيد الله عز وجل، فهو أساس حوار كل الرسل، وعليه مدار حواراتهم. والوصول إليه هو هدف هذه الحوارات. ولذا، فلا أقل من أن نقتدي برسلنا العظام، عليهم الصلاة والسلام. أما أن تصير أصول وثوابت الدين مادة للرأي والرأي المخالف. بل تميع قضية توحيد الله

([1]) المرجع السابق، ص129 وما بعدها.

عز وجل في بعض الحوارات، فهذا يناقض حوارات الرسل وينافي الاقتداء بهم، مما يفضي بنا إلى غير سبيل الهداية والرشاد.

2ـ إن غرض الحوار هو الوصول إلى الحق، ولذا فلا بد للمحاور من التلطف مع الغير، وإظهار الشفقة والنصح لهم. فسيدنا نوح ليس إلا أخوهم أخوة النسب لا الدين. وهو يخاف عليهم، ناصح إليهم، يعلم ما لا يعلمون. وهذا التودد لا يعني البتة المداهنة ولا النفاق. وبالتالي، فلا يمنع من قول الحق وإظهار الباطل. وهذا ما نرى عكسه كثيراً في بعض الحوارات، إذ لا يمنع التلطف والتودد مع الغير من قول ما قاله الله فيهم، فهذا هو الحوار الحق، حوار الرسل، الذي يجب أن نتأسى به. أما أن نداهن في ديننا كيما يرضى الغير عنا، فهذا ليس من الحوار لإحقاق الحق. ولم يأمرنا الله بالتنازل عن ديننا لإرضاء الغير عنا. بل قال الله عز وجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: 120)، وليس بعد كلام الله كلام، لمن يطع الله ورسوله!!

وبالإضافة لما تقدم، فلابد أن يبين المحاور أنه لا يطلب من حواره ثمة منفعة أو أجر، وأن يستخدم الحوار أسلوب الترغيب والترهيب. فهذا سيدنا نوح يرغب ويرهب: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (نوح: 2ـ4). فالترغيب أدعى لفتح القلوب الغافلة، والترهيب أزجر للقلوب المؤصدة.

بل وأن يستمر على ذلك في كل حال، مستغلاً كل مناسبة، قال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام: "قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً". وقال الله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: 5ـ8).

فهذا أفضل وسيلة للحوار، إذ كثرة طرق الباب تفتح مغاليقه، على أن يكون ذلك بالتلطف والتودد دون ملل ولا ثقل ولا سآمة، مع تخير الكيفية المناسبة.

وفضلاً عما تقدم، لا بد أن يكون هناك الحوار المبين الواضح القاطع الحجة، البالغ السلطان، والذي لا يدع لمحاوره مراجعة ولا رداً.

إنه ومع كل ما تقدم، من التلطف والتودد، واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب، والبلاغ المبين، فكثيراً ما تجد الجدال والعناد مع الغير المتحاور، ويكون غرضه دحض الحق، مع أن غرض الأول الحق. بل تجد أكثر من هذا.. تجد إثارة الشبهات على المتحاور وحواره، وافتراء الكذب عليه، ورميه بالسباب والشتائم، بالتطرف، بالإرهاب، بالجمود، بالانغلاق، بعدم الواقعية، بعدم العصرية، بعدم التنوير. وإن من يتبع ما يقوله المحاور ليسوا سوى متطرفون جاهلين، سطحيي التفكير، ممن لا يتفهمون الدين. لماذا كل هذا؟!!

أبعد أن قطعت الحجة المحجة، لم يجدوا إلا هذا، لصرف الناس عن محاور الحق، بل والحق ذاته؟!!

وهنا ما على المحاور أن يشتط ويظلم، وليعلم أن هذا من مكرهم لصرف الحوار عن هدفه الأساسي، وليعيدها ثانية إلى ذات الحلبة بالحلم والصبر وعدم الانتصار للنفس، ونفي شبهاتهم بالحجة والبرهان، وحصر الجدال في لب الحوار.

فإذا وجد المحاور على هذا النحو، أبانوا من التحقير والسخرية والاستهزاء، بل والتهديد والتخويف وغيره للوصول إلى هدفهم. وهنا فقه

الحوار، إذ مادام الأمر كذلك، فلا فائدة من الجدال، ولا مبرر للاستمرار. فالحق قد بان وظهر، وما كل المحاولات السابقة من هؤلاء إلا خير بيان لذلك. والمحاور لا يضيع وقته سدى وهملاً. أما عن هؤلاء، فالله أعلم بهم، وكم جادل من مجادل، فأين هو الآن؟!

وهل منع الحق؟!!

إن الحق قضى على نفسه أن يحق الحق بكلماته، ويبطل الباطل لوكره المجرمون. ألا فليتزم المتحاورون وغيرهم بتلك الأمور؛ فهي الوسيلة المثلى لبيان الحق، لمن أراد الحق.

5- حوار سيدنا هود عليه السلام مع قومه:

وهذا نموذج آخر للحوار بين الحق والباطل، ورأس الحق في هذا الأمر هو سيدنا هود عليه السلام، مع قومه أهل الباطل. تعالوا لنتعلم من هذا الحوار:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ * قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم

مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِئَايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾(هود: 50ـ60).

المستفاد من الحوار(1):

1ـ نعود إلى أصل القضايا ولبها وهي قضية التوحيد، توحيد الله عز وجل، فهو أسمى حوار تدعو إليه، وموضوعه أسمى حوار، ورجاله الذين يتحاورون به هم أسمى رجال، فما ظنكم بقضية تسير في كل حوارات التاريخ الإنساني، أننقضها في هذا العصر؟!!

2ـ تجرد المحاور من طلب الحظوظ الدنيوية، وهو أساسه الذي يعول عليه. أما وقد مد عينيه إلى متع الله به غيره، فلن يفلح حواره، وستذله هذه الحظوظ التي لا تنتهي، ويفقد معها حواره ونفسه وغايته، ولا سيما وأن الحوار من أجل الحق تعترضه عقبات وعقبات، ومما يستثمرونه في ذلك أيما استثمار تعلق النفوس بالدنيا، وعدم قناعتها وزهدها، والتاريخ خير شاهد.

3ـ إن اتبعتم أوامر ربكم تزدادون غنى وقوة، وإلا فهو العذاب الأليم. فجناحا الحوار في كل ميدان الترغيب والترهيب، ترغيب القلوب إلى الحق، وترهيبها من الباطل.

4ـ الحوار من أجل الحق، لا بد من ربطه بالحق ونعمه، ولذا قال سيدنا هود لقومه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: 132ـ135). وهذا في كل مفردات الحوار، الحوار في الدعوة، في التربية، في

(1) المرجع السابق: ص 171 وما بعدها.

الثقافة. وبذلك، يكون الحوار بناء للدين والدنيا.

5ـ ولن تتوقف سلسلة جدال أهل الباطل في حوارهم، فهم يرمون محاورهم بالسفه والضلال، والآن، وكما تقدم، بالتحجر والجمود والانغلاق، لكنه يرد باطلهم بعلمه وبحلمه، ويا ليت الأمر يصل إلى هذا فحسب، لكن يبلغ الصلف غايته. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(فصلت: 15). غرور واستكبار بالقوة، مع من؟! مع الرسل، فما بالك بغير الرسل؟!!

ولهذا، فليعتبر المتحاورون من أجل الحق أنهم لا يكونون في نزهة خلوية، إنما الأمر تدافع بين الحق والباطل، والباطل ينتفش بقوته وبفساده، ويتمسك بأصنامه، حتى قالوا لسيدنا هود: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (الأعراف: 70) فماذا كان رد فعل أهل الحق في حوارهم إزاء هذين الأمرين؟

6ـ أن الرد يكون من منطلق القوة، لا الخنوع والذلة، ولا خوف ولا تمييع القضايا والتخفي وراء الكلام المرسل، بل اسمع ما قاله نبي الحق، سيدنا هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ (هود: 54ـ55).

إذن، براءة صريحة معلنة من الشرك وأهله، وعدم الاكتراث بتهديدات أهل الباطل في حوارهم، توكلاً على الله ﷻ، واعتماداً على حوله وقوته، فانظر الفرق بيننا وبين الحق كم اتسع؟!

أما الرد على آلهتهم التي يصنعونها، فضلاً عن تقليديهم لآبائهم، ماذا قال؟!

أقال هذه الآلهة لها أصول الإسلامية، أو تتفق مع الإسلام في كذا، لا، بل قال بعزة وقوة: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ (الأعراف: 71)، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!!

7ـ ثم تستمر سلسلة العناد مع الأنبياء المؤيدين بالوحي وبالمعجزات، فيصل التحدي من قوم هود مداه بقولهم: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء136ـ138) فالوعظ وعدمه سواء، وسنستمر على طريقتنا، والتي هي خلق الأولين، بل ولن نعذب على ذلك!!

ما هذا؟! انظر القتال الشرس حتى في حوار الباطل وأهله، مما يتطلب أن يكون جنود الحق على أقوى من هذا وأشد إصراراً وإرادة في سبيل الحق، ولاسيما وأن النجاة دائمًا للمؤمنين، والخذلان وعاقبة السوء دائمًا للمبطلين.

6- حوار سيدنا صالح عليه السلام مع قومه:

وهذا سجل آخر لحوار على الحق، وعلى دعوة الحق، فكيف كان؟! قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ

فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ * وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾

(هود: 61ـ68).

المستفاد من الحوار[1]:

1ـ لا تنازل ولا تمييع، بل تأتي قضية القضايا، وأصل الثوابت على قائمة الحوار، فهذا الحوار النافع المفيد، والذي حمل لواءه كل نبي، أفلا نقتدي بهم؟!!

2ـ التذكير بآيات الله، والترغيب فيما عنده، والترهيب من عذابه، ورفض ذهب المعز، هو سيف المحاور من أجل الحق.

3ـ استكبار أهل الباطل في حوارهم، وهنا وقفة، ماذا قالوا؟ "قالوا يا صالح كنت مرجوًّا قبل هذا" . . فأنت كنت مستنيراً قبل هذا، ما الذي دهاك؟! كنت وكنت فينا، أما بترهاتك تلك، فلا تعدّ شيئًا عندنا. انظر لغة أهل الباطل، يستعلون بباطلهم على أهل الحق، بل يتعجبون، جحودًا واستكباراً وخداعًا، أن ينهاهم عن عبادة أصنامهم، كالمصطلحات المعاصرة التي يؤلفونها. بل، ويشكون في الحق وصلاحيته كالعلمانيين بالنسبة للإسلام. كيف وقد كانت مذهب السابقين، فماذا كان رد سيدنا صالح؟!

4ـ قال إن لدي الآيات البينات والأدلة الواضحة على ما أقول، والتي أعطانيها الله عز وجل. ثم بين لهم أن اتباع الباطل ليس إلا عصيانًا لله تعالى. ومن ينصرني حينئذٍ؟! أأنتم؟! أم باطلكم؟! فما تزيدونني غير تخسير، ونحن اليوم لدينا

(1) المرجع السابق: ص 183 وما بعدها.

معجزة القرآن الكريم، والتي كشفت عن صدور القوم. وكفى بها معجزة.

ومع ذلك، نتحرج من قول الحق، ونسير وراء ترهات الباطل، أفلا تعقلون؟!

5ـ بل وتستمر سلسلة الصلف والتكبر بإظهار السخرية والاستهزاء من أداء الحق، فيقول أهل الباطل لهم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الأعراف: 75)، وذلك بعد ظهور الآيات والمعجزات كالناقة، فانظر إلى قول المؤمنين المستضعفين، وبكل ثقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 75)، . فماذا كان رد المستكبرين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ (الأعراف: 76)، لماذا كل هذا العتو والتجبر؟! تعالوا لنعرف ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ * فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ (القمر: 23ـ26).

المشكلة أنهم يريدون أن يكونوا آلهة تعبد من دون الله، لا يتلقون الحق من مثلهم. هذه هي المشكلة، وتلكم هي حقيقة استنكاف المستنكفين واستكبار المستكبرين، فكيف نسترسل مع القوم في هذه الترهات، أين العقول يا من تزعمون العقلانية؟!!

7- **حوار سيدنا إبراهيم** عليه السلام:

وأتناول فيها حواره عليه السلام مع النمرود، ثم حواره مع أبيه وقومه، وذلك على النحو التالي:

أولاً: حوار إبراهيم عليه السلام **مع النمرود:**

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة : 258) .

المستفاد من الحوار

1ـ محاولة تمسح الفراعنة بالشرعية وذلك من خلال تظاهرهم بالحوار مع الناس أجمعين في ظل حرية الرأي والكلام، لكنها حرية موقوفة بعدم وجود من يملك الحجة القوية والسلطان المبين الذي يكشف زيف المخادعين وتغرير المغررين.

2ـ استطالة أهل الباطل بإضفاء هالات من الملك والملكوت، واستخدامه كوسيلة لإظهار الألوهية، لكن ذلك أوهن من خيوط العنكبوت.

3ـ براعة سيدنا إبراهيم في عدم الدخول في لجاجة مع الخصم فيما قد يفتح بابًا لخصم أن يتكلم، لكنه قارعه بحجة لم يجد معها خصمه إلا أن بهت، وصدق الله إذ يقول : ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ (الأنعام: 83). فمن أراد الحجة القوية والسلطان المبين فليطلبها من الله ليظهر به الحق، وبعد هذا لا يكون ثمة عذر في الارتماء في أحضان الباطل ومجاراته.

ثانيًا : حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً

وسع ربي كُلَّ شَيْءٍ علْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُم ولاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم باللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ به عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 74ـ82).

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا *قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا * فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾(مريم: 41ـ50).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ۖ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا

بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ * قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ * أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ * قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ (الأنبياء: 51ـ70).

المستفاد من الحوار:

تعالوا لنتعلم كيف تكون الحجة؟! وبم تكون الحجة؟!!

فالحق والدعوة بداية من الأب. وها نحن نرى أبناء ملتزمين فشلوا في الأخذ بأيدي آبائهم إلى الحق. تعالوا لنتعلم، تلطف وتودد. يا أبت ـ يا أبت ـ يا أبت ـ عطف وحنو، شفقة ونصح، إبداء العجب: كيف تتخذ الأصنام آلهة؟! ما هي هذه الأصنام التي تفنون أعماركم في العكوف عليها؟!! كيف يعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر، يا من تنادون بالديموقراطية، يا من تنادون بالعولمة، يا عباد الأصنام الفكرية، ألكم عقول تعقلون بها؟!! ثم يبين أن لديه من العلم ما ليس لدى أبيه، وأن اتباع الأصنام طاعة للشيطان ومعصية للرحمن، وأنه يخاف عليه. فقه وحجة، وترغيب وترهيب، ومع ذلك.. لغة التكبر والعتو ممن؟!! من الأب تجاه ابنه؟!! أراغب أنت عن آلهتي ـ ثم التهديد والوعيد من الرجم والهجر. فماذا كان الرد من الابن.. هل بالجفوة والغلظة والشدة؟ لا، وعندما تبين له أن أباه عدو الله تبرأ منه. واعتزلهم وما يعبدون، فكان من نعم الجزاء بنبوة البنوة، هذا مع الأب، فكيف مع القوم؟!!

فبدأ سجل الحوار والجدل، فكان تمام الحجة، فبين فساد آلهتهم وبطلانها الواحد بعد الآخر، فأي إله هذا الذي يأفل نجمه، أتسمعون يا تابعى الباطل

ومصطلحاته؟!! حتى انتهى إلى البراءة من الشرك والمشركين، لكن الباطل يخوف! بماذا يخوف؟!!

لكن الباطل يستخف بالحق ومحاوره، حتى دعاه من اللاعبين، سبحان الله!!

ومع ذلك، أعاد سيدنا إبراهيم الصراع للحلبة ثانية، فبين التوحيد وأظهره، وأن العبادة لرب السماوات والأرض لا لأصنامكم. ثم انظر إلى القوة والعزة والأنفة في الحق. محاور الحق يتوعد بكيد أصنام الباطل، وبفضح وبيان زيفها، فقام بكسرها كلها إلا كبير هذه الأصنام، تاركًا تكسيره، معلقًا الفأس في عنقه ليحتج به عليهم "لعلهم إليه يرجعون"!!

فماذا كانت النتيجة؟!! انظر منتهى التيه الفكري، قالوا: "من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين"، آلهة يفعل بها هذا، تعبد؟!! قالوا: سمعنا فتى.. وللفتى دلالات ودلالات؛ إذ الشيوخ تربوا على هذه الإلهية فشربوا منها، فبدأت الحملات والاعتقالات، وبمحاكمة علنية ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾؛ حتى لا تتكرر من أحدهم تارة أخرى. ثم بدأت المحاكمة مصبوغة بصبغة شرعية، فيسأل المتهم عن فعله حتى يقّر به، وتتم المحاكمة بصورة أشبه بالشرعية. فقرعهم سيدنا إبراهيم بقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾!! فسقطوا في أيديهم، وهذا على أعين الناس. ولقد آتت الحجة ثمرتها حتى رجعوا إلى أنفسهم وقالوا قولة الحق: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، لكن نفسًا استمرأت الألوهية والباطل هل تعود إلى الحق؟! ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ على الباطل ثانية، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾. فألزمهم بالحجة، وعلى لسانهم اعترفوا بعجز آلهتهم عن النطق، فهل تعد هذه آلهة؟!!

ثم جاء التوبيخ من سيدنا إبراهيم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ﴾، وكأنهم يقولون: لا نحن تبعٌ لهم، ونحن نمشي وراءهم ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

لقد ظهرت البراءة على لسانهم، ففشلت تلك المحاكم أن تصبغ بصبغة الشرعية، فانكشف الوجه الحقيقي لهم، إذ لم يبق إلا التنكيل بعد أن فضحهم وفضح آلهتهم ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ وماذا و﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ فماذا بعد هذا؟!!

والعجيب أنهم يشركون بما لم ينزل به الله من سلطانًا، وبيَّن لهم ذلك سيدنا إبراهيم، فماذا بعد هذا من حجة؟!!

وماذا بعد هذا من عزة؟! فللحق عزة موصولة وقوة تحتاج لرجال، لكن نفوسًا خائفة من عاقبة الحق؟!! كيف وقد قال الله تعالى "وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين" إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين.

حوار سيدنا إبراهيم مع سيدنا إسماعيل عليهما السلام

وهذا حوار العظماء أمام أمر الله، وتنفيذه من الصغير قبل الكبير، حوار البر، كيف كان؟!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ *قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: 102ـ105).

المستفاد من الحوار[1]:

1ـ أوامر الله تستوجب السمع والطاعة المطلقة، والرضا والقبول، دون تردد ولا كسل ولا تعقيب. وفي هذا دعوة للرضوخ لأوامر الله، لاسيما في حوارتنا.

(1) المرجع السابق: ص 219 وما بعدها.

2ـ إن سيدنا إسماعيل عليه السلام قدّم خير أسوة في طاعة الله عز وجل، والبر بالوالدين، وكم يفترقان لدى الشباب المسلم اليوم؟! فتجد طائفة أطاعت ربها، لكنها عقت والديها. وطائفة برت بوالديها وعصت ربها، فكيف وقد كانت الطاعة في اختبار وبلاء عظيم؟!! ولو أدت إلى ما أدت تجاه الولد والأهل، وكم من متخاذل بسبب الولد والأهل؟!

3ـ إن دين الله عز وجل ليس رخيصًا، فلا بد من الابتلاء فيه، وكل بقدره؛ وحتى يظهر الصادق من الكاذب، ومع البلاء الفرج لمن أطاع. فهذه تذكرة لمن إذا أوذي في الله، جعل فتنة الناس كعذاب الله، وفرَّ وولَّى وجهه شطر الباطل ابتعادًا عن الحق.

9- حوار سيدنا لوط عليه السلام مع قومه:

ومن أهل الباطل المتحاورين ما لديهم من الفحش والفاحشة، فكيف كان حوار أهل الطهارة مع أهل الفاحشة؟!!

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ * قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: 77ـ83).

المستفاد من الحوار(□) :

1ـ وهنا لمحة عن أهل الباطل، إذ من باطلهم إشاعة الفواحش والمنكرات بين الناس. وهذا أمر عجيب ومستنكف. والحق أنك لو تتبعت التاريخ لوجدت مظاهر الفساد بكل صوره. وعلى هذا، فهم يريدون أن تشيع الفاحشة بين الناس، ولا عليهم مادامت مآربهم قد تحققت لهم . ولذا ، فإن على محاوري أهل الباطل أن ينتبهوا لأمر هام، وهو أن كثيرًا من أولئك يزعم الطهارة. لكنك أن تسربلت رداءه، فلا تجد إلا الفاحشة. وها نحن أمام صور استقرت في المجتمع المسلم، بل وتمكنت من قلوب المسلمين. وهي تلك المعروضة في وسائل وأقلام أشاعت التحلل والانحلال الخلقي بكل معانيه، وللأسف تجد الناس مع ذلك عاكفين أمام هذه الأصنام.

2ـ إن أهل الباطل بما لهم من جاه أو مال أو سلطان يستغل ذلك في إتيان الفواحش، وفي هذا عبرة لمن أراد الحق، فالإسلام يطهر المجتمع من كافة أمراضه ومنها النفسية.

3ـ إن أهل الباطل، وهم يتظاهرون بالطهارة، وإذا وجدوا أمام أهل الطهارة حقًّا، فإنهم يستخدمون من منكرهم وحيلهم، فيلصقون التهم بأهل الطهارة، بل ولا يتورعون أن يخرجوا من أرضهم كل من نادى بالطهارة، لأجل ما نادى به، وكأنه قد كتب على البلاد أن تعيش في الفحش والفواحش من أجل هؤلاء؟!!

10- حوار سيدنا شعيب عليه السلام مع قومه :

وهذا مثال آخر لفساد أهل الباطل من التطفيف بالميزان، وبخس الناس أشياءهم، وإفسادها في الأرض. ترى كيف كان حوار أهل الحق معهم؟!!

(□) المرجع السابق: 229

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ * وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ * بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ * قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ * قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ * وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ * وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ * قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ * قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ * وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ * وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ * كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾(هود: 84ـ95).

المستفاد من الحوار(□) :

1ـ على من يحاور أهل الباطل أن يزداد قوة بعد قوة في حواره، إذ هو يواجه الباطل فعلاً. وإذا كان قوم لوط قد أهمتهم الفاحشة، فإن قوم شعيب كانوا من المطففين الذين ينقصون الكيل والميزان، ويبخسون حقوق الآخرين، ويفسدون في الأرض، وبالتالي فالباطل ظاهر واضح، فما على المحاور إلا أن يبرزه ويوضحه، ويوضح ضرره وخطره على الفرد والمجتمع، لا أن ينساق وراء هذا الباطل لقوته، بل زاد عتوهم بأنهم يتوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجًا. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(الأعراف: 86) وعليك أن تتخيل القوي ماذا يفعل بجنوده الذين يريدونها فتنة صماء بكماء عمياء، تمنع الناس عن الدخول في الصراط المستقيم، ويصير الأمر كله عوجًا. ولهذا، ما تجد مخالفة لله ورسوله إلا ويأتي العوج من ورائها وفي ظلها، فلا يغتر محاور أهل الحق بتغرير أهل الباطل، ولا بقوته الظاهرة، فالله أكبر وأقوى وأعلى.

2- ولا يعني ما تقدم، افتقاد آليات الحوار من تلطف وتودد، وترغيب وترهيب، وتعفف عن ذهب المعز، وقول الحق في أهل الباطل، مما توعدوا وهددوا. فها هم يهددون شعيبًا بقولهم ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ (الأعراف: 88). بل، ويستهزءون به [قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾(هود: 87)؛ إذ إنهم يتخفّون وراء حسن

(□) المرجع السابق: ص 237 وما بعدها

الشعارات، لكنهم قلوبهم في الحقيقة قلوب ذئاب، يريدون الباطل في كل شيء، في العبادة، في المال، في كل الحياة، ومن يردّهم إلى الحق يعدّونه ضعيفًا، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: 91). نعم، فالعزيز عندهم هو باطلهم، والذي يقاتلون من أجله، ولو وصل الأمر لقتل نبي، فكيف من دونه؟!!

لكن بلغ بهم الضياع والتيه حتى طالبوا شعيبًا أن ينزل عليهم العذاب، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾(الشعراء: 187) سبحانك يا رب، سبحانك . .غرّهم حلمهم عليهم، غرهم طول الأمل، غرهم ما اختبرتهم به من نعم، فهل من جلد وقوة لمقابلة أمثال هؤلاء في حوارهم؟!!

3ـ إثارة الشبهات حول محاوري أهل الحق، هو دأب محاوري أهل الباطل ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: 90) فهو وأتباعه من الإرهابيين؟!!!

وعليه، فعلى المحاور من أهل الحق أن يبتعد عما فيه شبهة، ويأخذ نفسه بالعزائم، حتى لا يدع لقائل قول، ويخرس تلك الألسنة الكاذبة.

والقرآن الكريم حافل بهذه الأمثلة العملية التي تجسد دور الحوار في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، بدءًا بخليقة الأرض، حتى نزول آيات القرآن الكريم بيانًا وعظةً للعالمين أجمع.